

ندرك ماذا يريد الطفل من هذه الرسوم ، وكيف ينبغي أن ننظر إليها .

عند الطفل ، لا تشكل عملية الرسم أكثر من وسيلة مناسبة للتعبير عما ينتابه ، انفعال معين ، معنى ، مثير خارجي ، أو حركة ميكانيكية (١٧) .

في البداية ، يكون هم الطفل اكتشاف المادة التي بين يديه ، فيحاول أن يجد لنفسه مكانا ، داخل المساحة الفارغة ، الممتدة أمامه ( ورقة مثلا ) ، ثم عندما يحتك جسم اللون بالورقة يحدث تلك الآثار والخدوش اللونية في المساحة البيضاء ، تثير هذه الخدوش فضوله ، فتنتابه الرغبة في تكرار الحركة الأولى ، وتحول يده باللون الى ما يشبه « البندول » ، فتتحرك الى أعلى وأسفل ، يميناً ويساراً ، وكلما كانت قدرته في السيطرة على ساعده ، ثم على يده ، وأخيراً على أصابعه أكبر ، تكون الحركة أكثر إيقاعية وأقل تلقائية ، وتبدأ الخطوط بالتكسر ، ويبدأ الفعل الإرادي غير الآلي ، في أحداث رموز لونية ، وفي اكتشاف الأشكال من جديد . وتظهر آثار البيئة ، المحيط الاجتماعي والثقافي ، تحفر فيه وترسب في أعماقه ، قوانين المجتمع ، أشكال الحياة والإجسام فيه ، لغته ، أخلاقياته ، الخ . وهو ما يولد عند الطفل نوعاً من الإدراك الكلي أو الجملي ، الذي ينتهي به الى إيجاد صيغ شكلية عامة ( رموز ) تمثل الأجسام والموضوعات بحوله (١٨) . ويستخدم الطفل هذه الصيغ الشكلية في التعبير عن كل ما يخزنه الطفل في أعماقه ، من خبرات وأحلام وذكريات وواقع . إن هذه الحميلة العامة والمختزنة لدى الطفل تنقل طبيعتها الانفعالية سواء كانت ساكنة أو متحركة ، عبر الرسم الى الورق ، لتصيغ عالم الأطفال المتميز .

إن تناول الأطفال للموضوعات والأجسام والرموز يشبه السحر ، بكل ما يحمله عالم الأطفال من مجانية ويسر ، وإذا كانت الأشياء الأثرية لدى الأطفال تتحقق بما يشبه السحر ، بالاستعمارة والخيال ( تصبح العصا بين ساقى الطفل حصاناً ) ، فإن الأشياء المؤلمة تنزاح بما يشبه « السحر » أيضاً .

عند رسوم الأطفال النازحين ، تجسد هذه القوة « السحرية » على تمثيل الأشياء ، وقتلها أو إحيائها . تجسد تلك الكوابيس وتلك الخبرات المستعادة والمسجلة بلمسات سحرية ولكن بقدر

رسوم الأطفال هو نزوعه الانفعالي الحاد ، بحكم واقع النزوح ، والمناخ الاجتماعي الجديد ، والتوتر السياسي والعسكري . مع ذلك فقد تكفلت التجربة باكتشاف « المميز والمختلف » في رسوم أطفال المخيمات . وقد احتاجت التجربة الى ثلاثة اشهر تقريبا من العمل اليومي ، لكي تكتمل ملامح صورة « عالم أطفال المخيمات » التي قدمت بألوان اصحابها لأول مرة في أواخر تشرين الثاني ١٩٦٨ .

### (٣)

لقد وجدنا من العرض السابق ، أن عرض هذه الرسوم ، شأنها شأن أية رسوم أخرى للأطفال ، يجعلها معرضة للنظر بطرق مختلفة وعبر معايير متباينة ، فرسوم أطفال البقعة ، ستجد نفسها أمام عدة أشكال من الرؤية ، كثيرون سيعتبرونها وثائق ومستمسكات الأداة ضد القهر والعسف ، آخرون سيرون فيها تسجيلاً واقعياً حياً ، أو مضاهاة فذة للطبيعة . سيحلو لبعض الدارسين أن يدخلوا هذه الرسوم على مختبراتهم ، ليبحثوا في سيكولوجية أطفال المخيم ، أو يروا فيها أداة لنظرة اجتماعية دارسة . لا أحد يمنع كل من يرغب في بحث موضوعات تحسن طبيعة هذه الرسوم من قريب أو بعيد ، كالذوق العام ، الثقافة ، اللون ، البيئة ، الأزياء . من جهة أخرى ، سيثار موضوع هذه الرسوم بصور مختلفة : فقد يرغب البعض أن يعتبر رسوم الأطفال مسألة عاطفية محضة ، نقاد أو فنانون قد لا يرون فيها سوى مساحات الألوان ، والمعالجة التشكيلية والعديد من التخطيطات الجريئة ، أصحاب الميول الزخرفية سوف يظهرون إعجابهم ببعض الصور المتقنة ، كتاب الصحافة وذوو الاهتمام بالاعلام سوف يرون في رسوم الأطفال وجها دعوايياً وإنسانياً بذات الوقت . الكثيرون تستهويهم دراسة مسائل الدين ، العادات الاجتماعية والثقافية وسيستساغون عن مكنها في هذه الرسوم .

مرة أخرى ، سننظر الى هذه الرسوم ، ونحن متقلون بالأحكام المسبقة ، والتصورات ، والترسبات الذاتية والثقافية ، سننظر إليها ونحن نعمن في أحكام منطلقاً وذكائنا على رسومهم . ننظر — دون أن نقصد أحياناً — فنرى رسومهم ، وكأنها رسوم للكبار ، أو كأنها خاضعة لنفس القوانين ، ولنفس الجماليات ، ولنفس المعالجة . من أجل ذلك ، لا بد أن نعرف كيف يرسم الطفل ، حتى نستطيع أن